المستشرقون وتحقيق التراث
الطبقات الكبرى
لمحمد بن سعد

أ . د .محمد عوني عبدالرءوف*

يُعدُّ كتاب **الطبقات الكبرى** لابن سعد من أهم الأعمال العربية التي قام بنشرها الأساتذة المستشرقون ، فهو أحد المصادر المهمة عن تاريخ محمد ﷺ والصحابة ، كما أنه أقدم مصدر دوّن به تراجم الرواة المحدثين ، وقد ذاعت شهرته لدى المستشرقين ، وبخاصة بعد أن عرَّف به شبرنجر Sprenger وموير Muir ونلدكه Nöldeke وبعد أن اعتمد عليه فيستنفلد كثيرا في كتابه **جداول الأنساب** . ولعله لا يمكننا أن نقارنه إلا بكتاب **تاريخ الرسل والملوك** لمحمد بن جرير الطبري ، الذي قام بتحقيقه المستشرق دي جويه De Goeie ومعه غيره من المستشرقين ببرلين عام ١٨٧٩ - ١٩٠٠ . وقد عني الأستاذ المستشرق ساخاو ومعه تلامذة مدرسته ببرلين ، بتحقيق **الطبقات الكبرى** عن خمسة مخطوطات اجتمعت لديهم ، وتوفروا على دراستها ، وعنوا بتحقيقها ، محاولين أحيانا إقامة النص ، مجتهدين أحيانا في المفاضلة بين قراءات المخطوطات إن اختلفت مستخدمين علمهم باللغات السامية ـ وبخاصة الحبشية والعبرية ـ في محاولة تفهم ما يغلق عليهم فهمه من عبارات وألفاظ غريبة .

واستمر صدور هذه الطبعة من الكتاب أربعة عشر عاما من ١٩٠٤ حتى ١٩١٨ في ثمانية أجزاء ، ويشتمل كل منها على قسمين ، ما عدا الجزئين الخامس والثامن فلم يشتملا تقسيما ، ثم ظهر القسم الأول من الجزء التاسع الذي خصص للفهارس سنة ١٩٢٠ ، وقام بمساعدة ساخاو في تصنيف الفهارس فيه الأستاذ أحمد والى وآخرون . ثم صدر القسم الثاني بعد ثماني سنوات ، أي عام ١٩٢٨ ، وبه فهارس الأماكن والقبائل وكلمات الرسول ﷺ والقوافي وآيات القرآن المستشهد بها في الكتاب .

وفي عام ١٩٤٠ ظهر القسم الثالث من الجزء التاسع ، وهو فهرس لأسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم بالكتاب ، ولكنهم ليسوا ضمن سلاسل الإسناد . وما يؤخذ على هذا القسم ، أنه لم يربط بين اسم الشخص الواحد وكنيته ولقبه ليورد ذكره في مكان واحد

* أستاذ بكلية الألسن جامعة عين شمس .

بالفهرس ، بل أورد الأسماء في نفس الصيغة التي وردت بها في نصوص الكتاب . وجمع النظائر فقط إلى بعضها ناصًا على مواضعها بالكتاب .

ولهذا فإن على من يُريد البحث عن شخص بعينه أن يجهد نفسه في البحث عن صيغ الاسم المختلفة في الفهرس كله ، كي يتمكن من حصر المواضع التي ذكر فيها الاسم . وهذا قد يتعذر أحيانا ، مالم يعرف الباحث باديء ذي بدء أن بعض الرواة أو المحدثين قد يحمل أكثرمن لقب ، أو أن له أكثر من كنية أو صفة .

مخطوطات الكتاب

اعتمد ساخاو في تحقيقه للكتاب على مخطوطات الطبقات الموجودة بمكتبة القاضي ولي الدين جار الله أفندي باسطنبول بجوار مسجد السلطان محمد الفاتح ، وقد أرسلها له عظمة السلطان ـ آنذاك ـ .كما اعتمد على مخطوطات أخرى بالمكتبة الملكية بجوتا ، وبمجموعة شبرنجر بالمكتبة الملكية ببرلين ، وبمكتبه الدار الهندية بلندن .

وأقدم هذه النسخ جميعا ، المخطوطة التي رمز لها بالرمز(ف) ، التي يبدأ الإسناد بها بابن حيويه الذي يستند في قراءة له على أحمد بن معروف بن بشر بن موسى الخشاب في شهر شعبان من سنة ٣١٨ هـ ، ولكن كاتبها لا يثبت تاريخ كتابته إياها . وابن حيويه المقصود هو أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكرياء بن يحيى بن معاذ بن حيويه الخزاز ، الذي روى عن أبي الحسن أحمد بن معروف بن بشر بن موسى الخشاب ، عن أبي محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامه التميمي (ت ببغداد ٢٨٢ هـ) عن أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع ، وهو مؤلف الطبقات (ت ٢٣٠ هـ) كما ورد في أول الطبقات .

وفي المخطوطة (ف) هذه ، كتب بآخر ورقة بخط قديم وبقلم أحد القراء ، أنه قرأها عام ٩٩٥ هـ فقد كتب : (ثم طالع في هذا الكتاب فقير ربه الوهاب العبد إليه حسن بن أحمد الجوهري – عفا الله عنهما عام ٩٩٥ هـ) .

أما النسخة (ب) فقد ورد بها : (الطبقات الكبير تأليف أبي عبدالله محمد بن سعد الكاتب رواية أبي محمد الحارث بن أسامه التميمي عنه ، رواية أبي الحسن بن حيويه عنه ، رواية أبي محمد الحسن بن على بن محمد الجوهري عنه ، رواية أبي بكر محمد ابن عبدالباقي بن محمد الأنصاري عنه) .

ونلاحظ أنه سقط من سلسلة الرواة اسم أبي الحسن أحمد بن معروف الخشاب وأن أبا

بكر محمد بن عبدالباقي بن محمد الأنصاري روى عن أبي الحسن الجوهري قاريء النسخة (ف) .

أما النسخة التي رمز لها بالرمز (جـ) فهي رواية الشيخ يوسف بن خليل الدمشقي ، وإن كانت لا تحوي أي دليل على أصلها أو أي إجازة أيضا ، وإنما ورد بالصفحة الأولى من النص أنها رواية يوسف بن خليل عن أستاذه عبدالله بن دهيل بن كاره . بذلك يمكن القول بأن النسخة كتبت في حياة يوسف بن خليل ، أي فيها بين سنتي ٥٥٥ هـ ، ٦٤٨ هـ . ويوسف ابن خليل المعني ، هو الشيخ الإمام محدث الشام ومسنده شمس الدين أبو الحجاج يوسف ابن خليل بن عبدالله الدمشقي ، الذي روى عن أبي محمد عبدالله بن دهيل بن علي بن كاره ، وهو ممن روى عن أبي بكر بن محمد بن عبدالباقي بن محمد بن عبدالله الأنصاري رواية المخطوطة (ف) .

أما المخطوطتان اللتان رمز لهما بالرمز (أ) ، (و) فترجعان جميعا إلى نسخة الدمياطي ، فالمخطوطة (أ) هي إجازة بهاء الدين عبدالمحسن لابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ بالقاهرة) الذي فرغ من نقلها في ٩ شعبان سنة ٧٠١ هـ عن نسخة الشيخ بهاء الدين ، وهي منقولة عن نسخة أخرى كانت في حوزة شرف الدين بن فضل الله الدمشقي ، كتب بها النص الذي تلقاه الدمياطي (٦٤٧هـ) عن يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي في حلب .

والدمياطي ، هو الشيخ الإمام شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ /١٣٠٦ م) وهو الذي روى عن الشيخ يوسف بن خليل رواية المخطوطة (جـ) .

كذلك ترجع المخطوطة (و) إلى الشيخ الدمياطي أيضا ، وهي أفضل المخطوطات جميعا ، لوضوح خطها ولدقه ناقلها العالم الكاتب أحمد الحكاري ، الذي نقلها سنة (٧١٨ هـ) وقد حملها إلى أوروبا سير وليام موير .

ومن هذا نرى ، أن كتاب **الطبقات** قد تناولته ثمانية أجيال مختلفة حتى وصلت إلينا روايته ، وإذا عرفنا أن ابن سعد قد توفى حوالي ٢٣٠ هـ ، وأن الشيخ شرف الدين الدمياطي وهو آخر سلسلة الرواة قد توفى عام ٧٠٥ هـ ، تبين لنا أن العمر الزمني لهذا الكتاب قد بلغ زهاء خمسمائة عام حتى وصل إلى راويته الأخير الشيخ شرف الدين ، وعنه نُقلت النسخ المخطوطة جميعًا .

طبعة ليدن ومحتويات أجزاء الكتاب :

وكتاب **الطبقات الكبير** صدر ـ في طبعة ليدن هذه ـ في تسعة أجزاء ، استغرقت أخبار النبي ﷺ منها الجزء الأول بقسميه . وقد قدَّمه المؤلف بفصل تمهيدي تناول فيه تاريخ الأنبياء السابقين ، وتاريخ أجداد محمد ﷺ ، ثم تعرَّض لتاريخ حياة الرسول ﷺ في طفولته وشبابه حتى بعثته ، سارداً الحوادث التي مرت عليه منذ أول الدعوة إلى الإسلام حتى الهجرة حيث ينتهي القسم الأول . أما القسم الثاني من الجزء الأول فيبدأ بالحديث عن العهد المديني ، ويبسط القول في أوامر النبي وبعثه الرسل بكتبه ، ووفود القبائل عليه ، وطريقة معيشته .

ونجده يفرد الحديث بالقسم الأول من الجزء الثاني لغزوات النبي ﷺ ، وينهي السيرة بالقسم الثاني من هذا الجزء بالحديث عن سيرة النبي ، ومرضه ، ووفاته ، وميراثه ، وما قيل فيه من المراثي ، كل ذلك في إسهاب وتفصيل ، حتى ليمكن أن نعد هذين الجزأين كتابا قائما بذاته . ولا غرابة إذاً في أن يذكر صاحب **الفهرست** من كتاب ابن سعد كتاب أخبار النبي (وإن كان لا يذكر غيره) وينهي ابن سعد الجزء الثاني من المخطوطة بالحديث عن أبرز الفقهاء بالمدينة ، ويمكن أن يعد هذا مقدمة للطبقات التي يصدرها في الجزء الثالث عن رواته الذين تحدث عنهم ساخاو في مقدمته ، وهو يترجم في هذا الجزء بقسميه لجميع من شهدوا بدراً من المكيين (جـ ٣ ق ١) والمدنيين (جـ٣ ق ٢) .

أما الجزء الرابع ، فيترجم ابن سعد في قسمه الأول للمهاجرين والأنصار ، من لم يشهدوا بدراً ، ولهم إسلام قديم ، وقد هاجر عامتهم إلى أرض الحبشة وشهدوا أُحُداً ، وما بَعدها من المشاهد . وفي القسم الثاني ترجم للصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة .

وفي الجزء الخامس ، ترجم للطبقتين الأولى والثانية من أهل المدينة من التابعين ، وللطبقة الأولى من أهل مكة ممن روى عن عمر بن الخطاب وغيره ، وأورد القول لتسمية من نزل في الطائف من أصحاب الرسول ﷺ ، ومن كان بعدهم من الفقهاء والمحدثين كما تعرَّض لتسمية من نزل اليمن من أصحاب الرسول ، ومن نزلها بعدهم من المحدثين ، كما خلص من ذلك إلى تسمية من نزل اليمامة أيضا من أصحاب الرسول ، ومن نزلها بعدهم من الفقهاء والمحدثين ، وختم الجزء الخامس بالحديث عن تسمية من كان بالبحرين من أصحاب الرسول . أما الجزء السادس ، فقد ورد تسمية من نزل الكوفة من الصحابة ، ومن كان بها بعدهم من التابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم ، ثم ترجم للطبقة الأولى من

الكوفة بعد الصحابة ممن روى عن الخلفاء الراشدين الأربعة ، وعن عبدالله بن مسعود وغيره ، وانتهى الحديث عن الطبقة الثانية التي وردت عن العبادلة الثلاثة (ابن عمر وابن عباس وابن عمرو) ، وجابر بن عبدالله ، والنعمان بن بشير ، وأبي هريرة ، وغيرهم .

وضمَّن الجزء السابع الحديث عن الطبقات الثالثة حتى التاسعة ، ثم بدأ في تسمية من نزل البصرة من أصحاب الرسول ، ومن كان بعدهم من التابعين وأهل العلم والفقة ، وكذلك الحديث عن الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة من أصحاب عمر بن الخطاب ، كذا الحديث عن الطبقات الثانية حتى الثامنة من أهل البصرة .

واتبع المنهج نفسه في الحديث عن أهل خراسان متحدثا عمَّن غزاها ومات بها ، ومن كان بها ، وبالرِّى وهمدان ، وقُمّ ، والأنبار ، وأتبعه أيضًا في الحديث عن أهل الشام وأهل الجزيرة ومصر ، مختتما الجزء السابع بالحديث عمَّن كان بأيلة وإفريقيا والأندلس .

أما الجزء الثامن ، فقد خصصه لتراجم النساء اللاتي شاركن في حياة النبي العامة والخاصة ، واللاتي روين عنه الحديث ، أوكنّ شاهدات عليه . وبذلك تم كتاب الطبقات الذي أفرد له ساخاو جزءا تاسعا لتصنيف الفهارس المختلفة لهذا العمل الجليل .

ساخاو ، ومدرسة برلين الاستشراقية :

يُعد الأستاذ إدوارد ساخاو Edward Sachau (١٨٤٥ - ١٩٣٠) الذي أصدر هو وتلاميذه طبعة ليدن هذه ، ممثل الاستشراق الرسمي بالإمبراطورية الألمانية آنذاك . فقد درس في مطلع حياته على الأستاذ ديلمان Dillmann الذي عُرف بتخصصه في اللغة الحبشية بجامعة كيل kiel سنة ١٨٦٤ ، كما تتلمذ على خليفته نلدكه Nöldeke ، ثم تركه بعد أن قامت بينهما منازعات حادة ، ورحل عام ١٨٦٥ إلى ليبزج حيث درس على الأستاذ فليشر Fleicher وحيث حصل على الدكتوراه سنة ١٨٦٧ . وبعد ذلك مباشرة قام بتحقيق كتاب **المعرب** للجواليقي ، في صورة تدل على طول باعه في الميدانين اللغوي والنحوي .

وفي عام ١٨٦٩ عين أستاذا خارج هيئة التدريس بجامعة فينا ، ثم أستاذا داخل هيئة التدريس عام ١٨٧٢ ، ثم عين أستاذا بجامعة برلين عام ١٨٧٦ .

ولم يتعرَّف ساخاو على الشرق إلا عام ١٨٧٩ - ١٨٨٠ حين أرسلته الحكومة البروسية

في (رحلة علمية إلى سوريا والعراق) كتب عنها كتابه المعنون بهذا الاسم سنة ١٨٨٣ .

وفي عام ١٨٦٩ تعهد لدار ترجمة ذخائر الشرق بلندن Oriental Translation Fund بترجمة كتاب **الآثار الباقية** للبيروني إلى الإنجليزية ، وبدأ أولا بإصدار طبعة عربية ساعده الأستاذ فيستنفلد Wüstenfeld في تصويبها ، على حين استعان بالأساتذة المختصين في الأمور الفلكية والرياضية أيضًا ، ثم ظهرت الترجمة الإنجليزية عام ١٨٧٩ وبعد ذلك تفرغ لتحقيق **كتاب الهند** للبيروني ، ولم يتمكن من إصداره إلا بعد خمس عشرة سنة أي عام ١٨٨٧ مستعينا بمخطوطة جيدة ، وفي العام الثاني أصدر الترجمة الإنجليزية للكتاب .

واستطاع ساخاو بهذين العملين الجليلين أن يعرّف الغرب برجل من كبار علماء العصور الوسطى .

ولا يقلل من أهمية عمله هذا مطلقا أن ثمة الآن مخطوطات أجود وأكمل لكتاب **الآثار الباقية** أو أن الدراسات الهندسية قد خطت خطوات تجعلنا أكثر فهما (**لكتاب الهند**) .

وفى عام ١٨٩٧ أصدر ساخاو في سلسلة الكتب الدراسية ، التي يقوم بنشرها بمعهد الدراسات الشرقية ببرلين ، بحثا عن الشريعة الإسلامية من وجهة نظر الشافعية . ثم شرع في القيام بتحقيق كتاب **الطبقات الكبير** ، ذلك العمل العظيم الذي دل على طول باعه في الدراسات العربية . ويكفى أن يُرجع إلى مقدمته التي كتبها للقسم الأول من الجزء الثالث ، والذي صدر قبل غيره من أجزاء الكتاب ، وقد ضمت دراسة قيمة مستفيضة للروايات التاريخية قبل ابن سعد ، وبحثا عميقا عن المؤلف والكتاب ، يبين أهميته ويدلل على المكانة التي يستحقها بين كتب الطبقات . وقد قام ساخاو بتحقيق بعض القسم الثاني من الجزء الأول ، والقسم الأول من الجزء الثالث ، والثاني من السابع . كما قام بوضع الفهارس بالجزء التاسع (قسم أول وثان) . وظل ساخاو طوال حياته يتابع هذا العمل العظيم الجاد حتى توفى سنة ١٩٣٠ قبل أن يصدر القسم الثالث من الجزء التاسع .

ولم يقصر ساخاو نشاطه العلمي على ميدان العربية فحسب ، فقد قام بنشر مجموعة أعمال باللغة السريانية . ففي عام ١٨٧٠ حقق ترجمات سريانية لأعمال يونانية ، وفي عام ١٨٨٠ أصدر بالاشتراك مع كارل جورج برونز تحقيقا لكتاب **القانون** السرياني الروماني الذي يرجع تأليفه إلى القرن الخامس الميلادي ، مع ترجمه له صدرت ١٩٠٧ - ١٩١٤ في ثلاثة أجزاء باسم : القانون السرياني . كذلك قام سنة ١٨٩٩ بعمل فهارس لمجموعة النقوش

والمخطوطات الأدبية السريانية التي حملها معه من رحلته الأولى إلى الشرق ، مضيفا إليها المجموعات السريانية الأخرى الموجودة بمكتبة برلين . كما قام بنشر مجموعات **البرديات** التي وجدت عام ١٩٠٦ - ١٩٠٨ بجزيرة الفيلة واوستراكا بتكليف من متحف برلين .

وقد ساعد ساخاو على تحقيق الكتاب تلاميذه الذين درسوا عليه بمعهد الاستشراق ببرلين ، والذين يذكرهم فيك Fück في كتابه (الدراسات العربية بأوروبا تحت مدرسة برلين) إلى جوار مدرسة ليبزج التي كوّنها هناك الأستاذ أوجست فيشر August Fischer (١٨٦٥ - ١٩٤٩) . فقد أشرك الأستاذ ساخاو تلاميذه في القيام بتحقيق هذا العمل العظيم ، فقام أويجن متفوخ (١٨٧٦ - ١٩٣٢) بتحقيق القسم الأول ، من الجزء الأول كما حقق الملازم الست الأولى من الجزء الثاني أيضا . والحق أن متفوخ قد تخصص أصلا في ميدان اللغة الحبشية والحميرية والسبئية ، وقد ظهر اهتمامه واضحا بجنوب الجزيرة بصدور كتابه (من اليمن Aus dem Jemen) سنة ١٩٢٦ ، الذي أصدر فيه التقرير العربي عن رحلة الباحث الرحالة هرمان بورشارت Hermann Burchard الأخيرة ، كما أورد فيه أيضا نماذج من لهجة صنعاء .

كذلك أصدر مع بوليوس لبيرت Yulis Lippert بالاشتراك مع طبيب العيون يوليوس هيرشبرج Julius Hirschberg كتاب (**أطباء العيون العرب** Die arabischen Augenärzte الذي صدر في جزئين سنة ١٩٠٤ -١٩٠٥) في ترجمة ألمانية . وقد قام الاثنان أيضا بمساعدة هيرشبرج في إصدار أعمال أخرى مثل كتب طب العيون التعليمي عند العرب Lehrbücher der Augenheilkunde ، كما قدم متفوخ أيضا الأستاذ فريدريش سارى Frie-drich Sarre مساعدات لغوية في دراساته عن تاريخ الفن الإسلامي .

أما يوسف هوروفتس Josef Horovitz(١٨٧٤ - ١٩٣١) فقد وهب معظم حياته لدراسة فجر الإسلام ، فإن رسالة الدكتوراة التي تقدم بها سنة ١٩١٨ كانت عن **مغازي الواقدي** ، كما أنه أصدر من **طبقات ابن سعد** الجزأين اللذين يتعلقان بغزوات محمد ﷺ وبمحاربي بدر المدنيين (القسم الأول من الجزء الثاني ، والقسم الثاني من الجزء الثالث) .

وقد قام بتكليف من (ل . كيتنس L. Kaetnis) بالبحث في مكتبات القاهرة ودمشق واسطنبول عن المخطوطات العربية ذات الفحوى التاريخي . كذلك فإن اهتمامه بتحقيق **هاشميات الكميت** إنما ينبعث أساسا من اهتمامه بالتاريخ .

ولاشك في أن طول مدة إقامته بالهند مدرسا للغة العربية بالكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية Anglo - Mohammedan Oriental College سنة ١٩٠٧ - ١٩١٤ وقارئا رسميا من قبل الحكومة للمخطوطات الإسلامية ، كان له أكبر الفضل في جعله عالما لايشق له غبار بمعرفة الإسلام بالهند ، الأمر الذي جعل عمله أثناء إقامته بفرانكفورت بعد ذلك (١٩١٥ - ١٩٣١) يرتكز أساسا على دراسة فجر الإسلام ، وعلى الأخص الدراسات القرآنية[١] ، وقد اعتنى هوروفتس في دراساته للقرآن بالناحية اللغوية أيضًا وانتهج خطة للقيام بوضع معجم لغوي لما ورد بالأدب العربي القديم من ألفاظ . ولذلك أوصى معهد الاستشراق بالجامعة العبرية التي أسست عام ١٩٢٥ بعمل جزازات لكل الألفاظ التي وردت بدواوين شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي المطبوعة ، كذلك حث هذا المعهد على إصدار **أنساب الأشراف** للبلاذري .

وقد قام فريدريش شفاللى Friedrich schwally (١٨٦٣ - ١٩١٩) بتحقيق القسم الثاني من الجزء الثاني للطبقات سنة ١٩١٢ ، وهو لاينتمي أصلا إلى مدرسة برلين وإنما كان أحد تلامذة نلدكه . كان قد أصدر عام ١٩٠٢ طبعة مقبولة من كتاب **المحاسن والمساويء** للبيهقي ، وإن كان لم يعن بوضع فهارس له . ولعل أعظم عمل له هو إصدار جزأين من كتاب **تاريخ القرآن** لنلدكه Geschichte des Qorans مع التعليق عليه (١٩٠٩ - ١٩١٩) . أما الجزء الثالث والأخير ، فقد أصدره برجشتراسر وبرتزل عام (١٩٢٦ - ١٩٣٨) .

ويوليوس ليبرت Julius Lippert (١٨٦٦ - ١٩١١) الذي ورد ذكره آنفا عند الحديث عن متفوخ ، هو الذي قام بتحقيق الجزء الرابع من **الطبقات** بقسميه . وقد وجهه ساخاو في مطلع حياته إلى دراسة الأدب اليوناني المترجم إلى العربية ، فأصدر معتمدا على الدراسات التمهيدية التي قام بها أوجست ميللر August Müller مقتطفات من كتاب **تاريخ الحكماء** لابن القفطي عام ١٩٠٣ . وكان ليبرت خبيرا باللغات الإسلامية بشمال إفريقيا ، بعد أن عكف على دراستها إثر زيارة لطرابلس الغرب وتونس بتكليف من معهد الاستشراق ببرلين الذي كان يعمل به .

ويعد كارل فيلهلم تسترستين Karl Wilhelm Zettersteen (١٨٦٦ - ١٩٥٣) الذي قام بتحقيق الجزء الخامس والسادس بقسميه ، من أشهر تلاميذ ساخاو الذين تخصصوا في علوم العربية أساسا مثل هوروفتس . فقد كانت رسالته للدكتوراه التي تقدم بها سنة ١٨٩٥ تحقيقا

(١) Koranische Unter Suchungen .

لألفية ابن عبدالمعطي . وقام بعد ذلك بإصدار كتابه **دراسات عن تاريخ سلاطين المماليك** في الفترة بين ٦٩٠ - ٧٤٧هـ ، معتمدا في ذلك على مخطوطات عربية. Beiträe Zur Geschichte des Mamluken - Sultane in den Jahren 690 - 747

وعندما طعن في السن بدأ في إصدار طبعة لكتاب **شمس العلوم** لنشوان الحميري .

كان تسترستين واسع الثقافة غزير العلم ، فقد أصدر كتابه **دراسات نوبية** سنة ١٩١١ Nubische Studien من تراث الأستاذ ألمكفيست Almkvist . كما قام في المجلة التي أسسها باسم هلال الشرق Le Monde Oriental بالعددين ٢٢ ، ٢٨ بوصف المخطوطات العربية والفارسية والتركية بمكتبة جامعة أوبسالا Die arabischen, perschen, und tur- kischen hss, der Universitätsbibliothek zu Uppsala كما أنه أرسل إلى دائرة المعارف الإسلامية الكثير من المقالات عن الخلفاء والولاة والشخصيات السياسية الهامة التي عرفت بدقتها وعمقها .

أما برونو ميسنر Bruno Meissner (١٨٦٨ - ١٩٤٧) الذي قام بتحقيق القسم الأول من الجزء السابع من **الطبقات** ، فإن ميدان تخصصه أساسا هو اللغة الأكدية (البابلية والآشورية) ، كما أن ميدان تخصص متفوخ كان السبئية والحبشية إلا أنه دلل على اهتمامه بالعربية بإصدره الأمثال والألغاز والأشعار والقصص التي وجدها أثناء قيامه بالحفريات في بابل بالعددين الرابع والسابع من مجلة MSOS AS ، وبالعدد الخامس ص ١ - ١٤٨ من مجلة B Ass. . وبذلك كان أول من قدّم لنا أخبارا مستفيضة عن لهجة جنوب العراق .

أما كارل بروكلمان Carl Brockelmann (١٨٦٨ - ١٩٥٦) محقق الجزء الثامن من **الطبقات**[١] ، فهو مثل شفاللى لا ينتمي إلى مدرسة برلين ، ولا يعد من تلاميذ ساخاو ، وإن كان يحتل في ميدان الاستشراق مكانة ممتازة لما قام به من أعمال جليلة . تعلم العربية والآرامية والسريانية وهو طالب ، كما درس اليونانية واللاتينية والتركية بجامعة روستوك . وفي عام ١٨٨٨ التحق بجامعة ستراسبورج ، وتتلمذ على الأستاذ نلدكه ، فدرس السنسكريتية والأرمنية وقواعد الهندوجرمانية المقارنة التي طبقها فيما بعد على اللغات السامية . وبعد حصوله على الدكتوراة من جامعة ستراسبورج عمل بالتدريس في جامعة برسلاو ولوينجزبرج ، ثم عين بجامعة هالة حيث بقي يزاول التدريس حتى توفى عام ١٩٥٦ .

(١) أفردنا لـ (بروكلمان) دراسة خاصة عن تحقيقه للجزء الثامن للطبقات .

ونظرة عابرة إلى أهم مؤلفات بروكلمان كفيلة بأن تشعر القاريء بمدى نشاط هذا العالم الجليل ، ومدى ما قدَّمه للعلم والباحثين من خدمات تجل عن الوصف . ففي عام ١٨٩٠ أصدر كتابا بعنوان **العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب تاريخ الطبري** وقد كان هذا الكتاب موضوع رسالته للدكتوراة بجامعة ستراسبورج فيما بعد سنة ١٨٩١ . وفي عام ١٨٩٥ أصدر **المعجم السرياني** الذي مازال يعد أفضل المعجمات في هذه اللغة حتى الآن ، ثم أصدر كتابه في النحو السرياني سنة ١٩٠٢ ، وفي عام ١٩٠٢ أيضًا كتاب **دراسة في الآشورية** ، وأعقبها ببحث عن **نظرية الأصوات الحلقية في الآشورية** سنة ١٩٠٣ ، ثم أصدر دراسة مقارنة عن **تاء التأنيث في اللغات السامية** ، وفي عام ١٩٠٤ كتب بحثا عن الأصوات في اللغة العبرية ، كما أن له في نفس السنة بحثا بعنوان (اللغة السامية) ، أما كتابه عن أصول القواعد النحوية المقارنة في اللغات السامية ، فقد صدر جزأين عام ١٩٠٨ - ١٩١٣ .

وأشهر كتب بروكلمان ولاشك ، هو كتاب تاريخ الآداب العربية ، صدر الجزء الأول منه عام ١٨٩٨ ، والثاني عام ١٩٠٢ ، وصدر ملحق الكتاب الأول عام ١٩٣٧ ، والثاني ١٩٣٨ والثالث ١٩٤٢ .

ولايفوتنا هنا أن نذكر كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية الذي صدر عام ١٩٣٩ ، وبذلك نرى أن حياة علمية خصبة كان هؤلاء المستشرقون يحيونها ، وكيف قدموا لنا خلالها الكثير من الأعمال العلمية الجادة .

أود ألا أغفل في الحديث هنا عن مدى عناية الأستاذ ساخاو واهتمامه بالدقة في التحقيق الأمر الذي دعاه إلى إرسال مسودات طبع القسم الأول من الجزء الثالث بعد قيامه بتحقيقه إلى معالي وزير المعارف المصرية آنذاك فخري باشا ، راجيا منه أن يقوم بعرضه على السادة علماء الأزهر الشريف ، لمراجعته والتعليق عليه ، فكان أن حظى بمراجعة فضيلة الشيخ محمد عبده ، فقام الشيخ بالمراجعة والتصحيح ، وإعادة النسخة الثانية إلى المحقق الذي أورد تصحيح الشيخ شاكرًا له فضله بالتعليق . ويربو عدد المواضع التي قام الشيخ بتصحيحها على مائة وخمسين موضعا . وتصحيح الشيخ محمد عبده إنما يدل على قدرة لغوية فائقة ، وسعة إطلاع لا حد لها ، وإن كنا نفتقر في كثير من الأحيان لمعرفة المصادر أو المراجع التي عدَّل بمقتضاها طريقة نطق اللفظ أو أصلح من العبارة . وإذا ما أمعنا في المواضع التي جرى قلم الشيخ عليها بالتعديل أو التصويب أمكننا أن ندرجها غالبا في ثلاثة

أقسام : قسم عدَّل فيه من الشكل مثل التعليق على قسم ١ ص ٨٤ س ١١ (أُقِرُّ ، قراءة الشيخ محمد عبده) (أَقرُّ) وعلى ص ١٤ س ٢١ الفُلُس : قراءة الشيخ (الفَلْس) (راجع ياقوت جـ ٣ ص ٩١١) ، وقسم عدَّل فيه النقط ، مثل التعليق على ص ١٠٢ س ١١٢ (كذا أشْغَبت) قراءة الشيخ (أَشفيتُ) . وقسم ثالث أزاد فيه لإقامة النص ، مثل التعليق على ص ١٩٧ س ١٤ (أُقَدَمُ فَتُضْرَبُ) قراءة الشيخ (أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضرَبَ) .

وقد حرص ساخاو بعد رجوع النسخة المصححة إليه على إثبات ما دبجته يراع الشيخ جميعه ، وإن كانت الدقة العلمية قد ألجأته إلى محاولة تتبع ذلك بالمصادر اللغوية والمراجع العربية المختلفة ، فنجده يتقبل بعضها ويرتضيه ويحض القارئ على أن يتبعه مثل ما ورد في التعليق على ص ٣٠٠ س ١٧ (ألوتْ) أقرأ (أَلوتَ) كما اقترح الشيخ محمد عبده ، وأحيانا يرجح قراءة الشيخ ، وإن كان لايستطيع أن يجزم بها ، مثل ما ورد في التعليق على ص ٨٩ س ٢٥ (اذهب ، راجع أسد الغابة جـ ٣ ص ٣٨٧ س ٣و ٤ وابن حجر بالإصابة جـ ٢ ص ١١٠٨ س ٩ ، ويجوز أن تكون القراءة (اذْهَبْ) كما اقترح الشيخ في ص ٩٦ س ١٥ . وفي بعض المواضع يجد أن قراءة الشيخ قد وردت في مراجع أخرى ، فينص على ذلك مثلا في التعليق على ص ١٩٠ س ٣ ، (رِزاح قراءة الشيخ رزَاح) وعلى هذا ابن دريد بالاشتقاق ص ٣٢ س ٣ ، أو يجد القراءتين فيكتب ذلك أيضًا مثل التعليق على ص ١٩٨ س ١٨ (يَرفا ، قراءة الشيخ (يرفأُ) كذا حيثما وردت ، وقد جاءت اللغتان بالمعجمات) على أنه حينما تختلف قراءته مع قراءة الشيخ ، ولايقنع بتلك الأخيرة ، يأتي بالدليل على صحة قراءته مما رجع إليه من مصادر ، أو مراجع مثل : ما ورد في التعليق على ص ١٥٢ س ١٨ (عُدَس ، قراءة الشيخ عُدُس ، وقراءتي نص عليها ابن دريد في كتاب الاشتقاق ص ١٤٢) ، أو التعليق على ص ١٢ س ١ (سُلْمَى ، قراءة الشيخ (سَلْمَى) راجع بتاج العروس جـ ٨ ص ٣٤١ س ٦ (سلمى كسكرى ، وابن دريد بالاشتقاق ص ١٤٩ س ١٨ والمثبتة ص ٢٧١ س ٢) ، وكذا بالتعليق على ص ١٦٥ س ٥ حيث يقول : قراءة الشيخ سَلمى وسُلمى وردت أيضًا بأسد الغابة جـ ١ ص ٢٦٥ (سُلمى بضم السين والإمالة) ، وفي التعليق على ص ١٣٦ س ٢٤ (اطَّلاعه) وقراءة الشيخ (اطلاعه) والصحيح عندي (اطَّلاعه) راجع المفصل ص ٩٨ .

والحق إنني كنت أحيانا افتقد فعلا إلى معرفة السبب في تعديل الشيخ لقراءة بعض الألفاظ أو الأسماء . فمثلا بالتعليق على ص ١٦ س ٥ (فطْريان ، قراءة الشيخ قَطَرِيَّان) أما قراءتي فاعتمادا على ما ورد في تاج العروس جـ ٣ ص ٥٠٠ س ٢٥ - ٢٦ . وفي التعليق على

ص ١٧٥ س ٧ (عنكشة ، الاسم غير معروف لديّ بمصادر أخرى ، ولكن ورد لدى ابن دريد بالاشتقاق ص ٣٢٧ س ١٣ اسم عنكش ، ومعنى عنكشة باللسان جـ ٨ ص ٢١١ (تجمع) وقراءة الشيخ عَنْكَثَ) . ولكن عدم نص الشيخ على مصادره لا ينفي أنه أدى خدمة جليلة للنص ومحققه ، بالتعديلات التي أجراها ، وكان لها أبعد الأثر في معظم الأحيان لإضافة معنى جديد أو إيضاح معنى مبهم مثلما رأينا قبل .

أما عن طبعة كتاب **التحرير للطبقات** ، فقد حرصت الدار على إصدارها في نفس الصورة التي ظهرت بها طبعة ليدن ، لما لهذه الطبعة من قيمة علمية جليلة وتيسيرا للباحثين والدارسين ، إذ إن هذه الطبعة يكثر الرجوع إليها والاستشهاد بها في كافة الأبحاث والدراسات العلمية حتى الآن . ولم أجر أي تعديل على منهج التحقيق وطريقته بل اكتفيت بترجمة ما ورد بالتعليق إلى العربية ، دون مراجعة لأرقام الصفحات والأسطر التي يحيل إليها المحقق بأي كتاب من الكتب ، إلا أنني قمت فقط بتعديل أرقام الآيات القرآنية الوارد ذكرها بالتعليق حتى تطابق الأرقام الواردة بالمصاحف التي بين أيدينا .

كذلك عدلت عن اتباع طريقة المستشرقين التي اصطلحوا عليها ، في الاكتفاء بإيراد الأرقام العددية لصيغ الأفعال المجردة والمزيدة وذلك بالأعداد الرومانية لغرابتها على القارئ العربي ، فبدلاً من أن أكتب (حضر ×) مثلا أكتب (استحضر) .

وإنني لأؤثر أو أورد هنا صيغ الأفعال المجردة والمزيدة ومقابلها العددي لدى المستشرقين ، حتى يستطيع القارئ العربي أن يتعرفها ولا يفاجأ بها إن وجدها بكتاب آخر .

فعل I	فعّل II	فاعل III
أفعل IV	تفعل V	تفاعل VI
انفعل VII	افتعل VIII	افعلّ IX
استفعل X	افعالّ II	

أما عن العبارات والألفاظ التي وردت بلغات وحروف سامية أخرى مثل الحبشية والعبرية فقد حرصت على الإتيان بها كما وردت ، كما حرصت على القيام بذلك عند استشهاد المحقق بألفاظ وعبارات باللغة اللاتينية أو اليونانية أو بلغة أوربية حديثة مثل الألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية .

على أنني أهمل هذا في بعض الأحيان ، إن كان المراد من إيراد المحقق لذلك هو توضيح العبارة العربية فقط للقارئ الأجنبي ، الذي لا يتقن العربية اتقان القارئ العربي لها ، مما يجعله يفهم النص دون الحاجة إلى زيادة شرح أو توضيح . كذلك تركت بعض هذه العبارات الواردة باللغات الأوروبية ، حينما تكون مأخوذة من معجم للغة العربية بالإنجليزية أو الفرنسية ، مثل معجم لين Lane أو دوزى Dozy بالمواضع التي لا يحتاج إقامة فهم النص إليها .

ولا يفوتني أن أذكر هنا . حرصي على ترجمة عبارة الأساتذة المستشرقين الألمانية ترجمة أمينة ، ما دامت اللغة العربية تسمح بذلك ومادامت العبارة العربية واضحة لا تعقيد فيها ولا إبهام . وإنما أردت بذلك أن أجعل القارئ العربي يتعرف أسلوب كل مستشرق وطريقته في الكتابة ، وإن كان المستشرقون جميعا يتميزون كغيرهم من المتخصصين الألمان بأن جملهم عُلَبيّة متداخلة ، تكثر فيها التفريعات والجمل الاعتراضية والوصفية والموصولة .

كما أنني حرصت على إيراد تشبيهاتهم واستعاراتهم كما هي ، وإن كانت غريبة أحيانا على القارئ العربي ، مشيرا إليها أحيانا حتى لايساء فهمها دون أي داع لذلك ، فمثلا يقول ساخاو بالمقدمة عن علي بن أبى طالب (رضي الله عنه) : فعندما وضع عليّ التاج ، الذي طالما طمع فيه وتطلع إليه ، على رأسه ثم غادر أواخر صيف سنة ٦٥٦ بخيله وأتباعه المدينة إلى غير عودة خيم على المدينة صمت أشبه بصمت القبور .

وقد نبهت على ذلك بالهامش ، مبينا أن التعبير هنا غربي محض ، إذ أن الإسلام لا يعرف التاج ولا الصولجان . كذلك تركت آراؤهم كما هي ، ولم أحاول أن أدخل عليها أي تعديل كما تقتضي أمانة الترجمة ، وإن كنت حرصت في بعض الأحيان على أن أنبه على مخالفة الرأي للواقع التاريخي وللشريعة الإسلامية بالهامش .

هذا وقد قمت بإثبات تصويب لبعض الألفاظ التي وردت خطأ في الطبقات ، وإن كنت لم أتمكن من إثباتها جميعا ، حرصا على عدم الإطالة أولا ، ولأن معظم ما أهملته في عدم القيام بتشكيل بعض أسماء الأعلام وإهمال علامة التشديد . وقد آثرنا في هذه الطبعة ألا نقتصر على الرمز ـ الوارد في طبعة ليدن ـ في «حدثنا» ، «وأخبرنا» . فبدلا من «نا» كتبنا «حدثنا» وبدلا من «انا» كتبنا «أخبرنا» .